وَرَقَةٌ مِنْ تَارِيخِ ٱلاسْتِشْرَاقِ فِي أَلْمَانْيَا :

فريدريش روكرت

(١٧٨٨ - ١٨٦٦)

بقلم انا ماري شيمل

توفى الشاعر المستشرق فريدريش روكرت Friedrich Rückert منذ قرن واحد، او على وجه التحديد فى ٣١ يناير (كانون الثانى) سنة ١٨٦٦.

والحق انا لسنا ندرى أكانت عبقريته أكبر فى مجال الشعر ام فى مضمار اللغات الشرقية، ولعله مما يبعث على الأسف ان هذا العالم الفذ لم يحظ بتقدير مواطنيه فما زال الشعب الألمانى يجهل حتى الآن الكثير من أعماله فى حقل الاستشراق، خاصة وأنه كان ذا باع طويل فى ترجمة الآداب الشرقية الى الألمانية حتى أنه ليس من اليسير حصر كل ما ألف من أشعار وما ترجم من أعمال. ولقد أقبل الشعب الألمانى فى القرن التاسع عشر على قراءة وترديد أشعار روكرت التى مجد فيها الأسرة؛ ومن اشهرها بعض الأبيات العذبة التى كان يترنم بها الأطفال فى المانيا الى يومنا هذا؛ كما ان لروكرت انتاج غزير من الأشعار الغرامية التى ألهم بعضها الموسيقار الموهوب «شوبرت» مما دفعه الى تصنيف ألحان لها. وعلى الرغم من ذلك لم يدرك الجمهور أن شاعره المحبوب كان فى الوقت نفسه مترجما عبقرى الإهاب، يندر أن يوجد مثله على مر العصور. ورغم كل هذا فأحيانا ما كان روكرت يشكو حاله بقوله :

لا يثير النفوس ما أوحتنى به آلهة الشعر...

ولا يلتفت العلماء الى ما ألفت فى مضمار اللغات ...

ولد فريدريش روكرت سنة ١٧٨٨ عن عائلة حاكم فى مدينة «شفاينفورت» فى شمالى بافاريا، وكثيراً ما وصف فى اشعاره النهر والحقول والبساتين والغابات التى كان يلهو ويعدو فيها وهو طفل. وعندما شب درس اليونانية واللاتينية فى جامعتى هايدلبرج وبينا ودافع عن أطروحته فى اللغات القديمة وفلسفة اللغة التى تقدم بها سنة ١٨١١؛ وقد انتهى فى هذا البحث العلمى الى ان اللغة الألمانية تشتمل على إمكانيات سائر اللغات بأجمعها فتشكل بذلك اللغة المثلى التى فى إمكانها أن تبنى خصائص كافة الألسن.

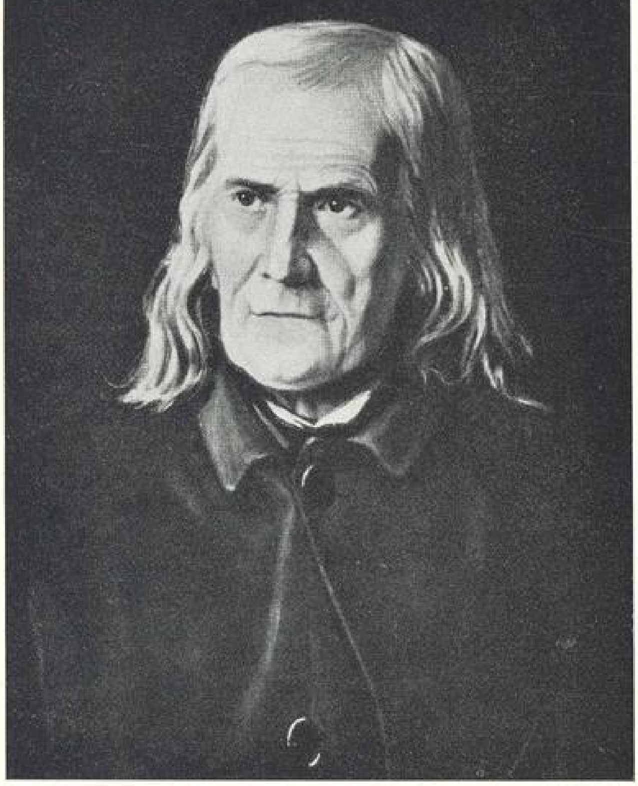
وكان هذا الرأى جديدا مثيرا لمناقشات عنيفة بين اساتذة اللغة، ولكن العالم الشاب لم يبرح مداوماً على اعتقاده هذا حتى انه بعد ذلك بسنوات طويلة أفاد برأيه فى ان الروح الألمانية وحدها هى التى تتمكن من استيعاب خزائن الآداب الأجنبية طرا، دون ان تضيع مع ذلك خصائصها الذاتية، مثلها فى ذلك مثل تقبل المرآة البلورية للالوان والأشكال بلا تفريق، ثم إذ بها تعكسها عكسا تاما بينما لا تزال بلوراً صافيا ...

لم يحب روكرت الحياة الجامعية ولا التدريس ولذلك ترك جامعة يينا وعاش كشاعر حر، وكان ذلك فى زمان حروب الاستقلال فى ألمانيا، فنظم قصائد دعى فيها قومه لمقاومة نابليون وما زالت بعض هذه الاشعار مشهورة حتى يومنا هذا نظرا لما تذخر به من حب الشاعر لوطنه ونفوره من المعتدى الأجنبى ... وفى تلك الفترة قام روكرت بتأليف المسرحيات، مستمدا بعض مواضيعها من الأساطير الشرقية او حكايات ألف ليلة وليلة، ومع أنه كان لا يجيد على الاطلاق تأليف الروايات التمثيلية، لاسيما وأنها كانت تخرج من بين يديه خالية من الحياة فقيرة إلى القيم الجمالية، فانه لم يبرح التأليف فى هذا اللون الأدبى طوال حياته حيث دون فيه ما دون، فمن مسرحية دعاها «نابليون» الى موضوعات مأخوذة عن التوراة والتاريخ الألمانى. وكانت آخر تجربة له فى مجال التمثيلية ملهمة عن التاريخ الأرمنى القديم ...

سافر روكرت الشاب على عادة معاصريه الى ايطاليا حيث اقام هناك لمدة من الزمان ولكنه لم يكن شغوفا بهذه المملكة كما أننا لا نعثر فى كتبه على آثار لهذه السياحة الا فى أشعار معدودة. ولكنه عند عودته الى الشمال زار مدينة فينا التى عاش فيها «يوسف فون هامر - بورجستال» أستاذ اللغات الشرقية؛ وكان روكرت قد عزم على الالتحاق بالأكاديمية الاستشراقية فى فينا، عندما أشرف على التاسعة عشرة من



الشاعر فريدريش روكرت فى شبابه
نقدم شكرنا لبنت حفيد روكرت، السيدة باربارة شوكس Barbara Schöx
فى كرافناو التى قدمت لنا هذه الصورة التى لم يسبق نشرها.



فريدريش روكرت فى خريف عمره.

عمره، ورد طلبه آنذاك لتجاوزه السن القانونى للقبول. وهنا يتعلم روكرت أصول العربية والفارسية فى أسابيع قليلة على يدى الأستاذ هامر – بورجستال الذى أهداه قبل مفارقته خاتما وبضعة كتب. من هنا تبدأ حياة روكرت الفعلية التى تجمع بين فنون الشعر وعلوم اللغة .. وهكذا أقام العالم عدة سنوات فى مدينة صغيرة مكبا على نسخ ما جاءه من الكتب والمخطوطات الشرقية والاقتباس عنها؛ فقد كان فقيرا لا يستطيع ابتياع هذه الكتب الاستشراقية كلها، ومع أنه كان يشكو كونه «معزولا عن اسواق العلوم الشرقية» فقد وضع فى تلك الفترة أساساً متينا لآثاره المستقبلة، ولم يكتف بنسخ الكتب بغاية الاجتهاد فحسب بل أضاف الى المتون ملاحظاته الشخصية وصحح أخطاءها كما ترجم ما استحسنه من كل المتون التى قرأها. وصاغ بقلمه أشعارا على نمط اسلوب الشاعر المتصوف مولانا جلال الدين الرومى، وأخرى تعكس روح الحافظ الشيرازى، وأخذ يترجم القسم الأكبر من القرآن الكريم؛ وعندما نشر «سيلفستر ده ساسى» مقامات الحريرى سنة ١٨٢٢ ترجمها روكرت ترجمة رائعة قريبة من الاعجاز ...

ولما كان دخله كشاعر حر وعالم مستقل لم يكف لسد نفقات عائلته فقد اضطر لأن يبحث عن وظيفة معلم فى مدرسة او مدرس جامعى على الرغم من أنه كان يكره تلقين الدروس. وبعد مدة عينته جامعة «إرلانجن» فى بافاريا الشمالية أستاذا للغات الشرقية مع أن بعض أعضاء ذلك المعهد العلمى كانوا قد رفضوا تعيين رجل اشتهر كشاعر ولم ينشر مؤلفا ما فى فقه اللغة ولا فى تاريخ الشرق ...
ظل روكرت فى هذا المنصب الى أن دعاه الملك البروسى الى جامعة برلين سنة ١٨٤١؛ وكان جد سعيدا باقامته فى مدينة ارلانجن وسط كتبه وبين عائلته، وقد ترجم فى هذه السنوات قسماً كبيرا من الأشعار العربية المشهورة، ومنها اشعار الحماسة لأبى تمام بكاملها فضلا عن ترجماته عن الآداب الهندية والفارسية، وقد نظم آلاف الأشعار التى تدور حول تجاربه الذاتية وبستانه الذى كان مغرما به وكل ما حدث فى عائلته التى كان متفانيا فى حبها (وتوجد له أكثر من مائة قصيدة قرضها فى رثاء طفلين من أبنائه) كما نشر قصائد وحكايات منظومة استمد مواضيعها من كتب التاريخ الإسلامى. وقد جمع روكرت



نشيد كلماته من تأليف الشاعر فريدرش روكرت (من ديوانه «ورود الشرق») وتلحين الموسيقار فرانس شوبرت (المتوفى عام ١٨٢٨)

منها مجموعتين تحتويان على حكايات وأشعار حول الأحداث الهامة فى تاريخ الاسلام، وعلى أجزاء من بعض رسائل الفلسفة والتصوف مصاغة كلها فى لباس أشعار ألمانية رقيقة. ومن اطلع على هاتين المجموعتين الشعريتين وعنوانهما:

Sieben Bücher morgenländischer Sagen und Geschichten;
Erbauliches und Beschauliches aus dem Morgenlande

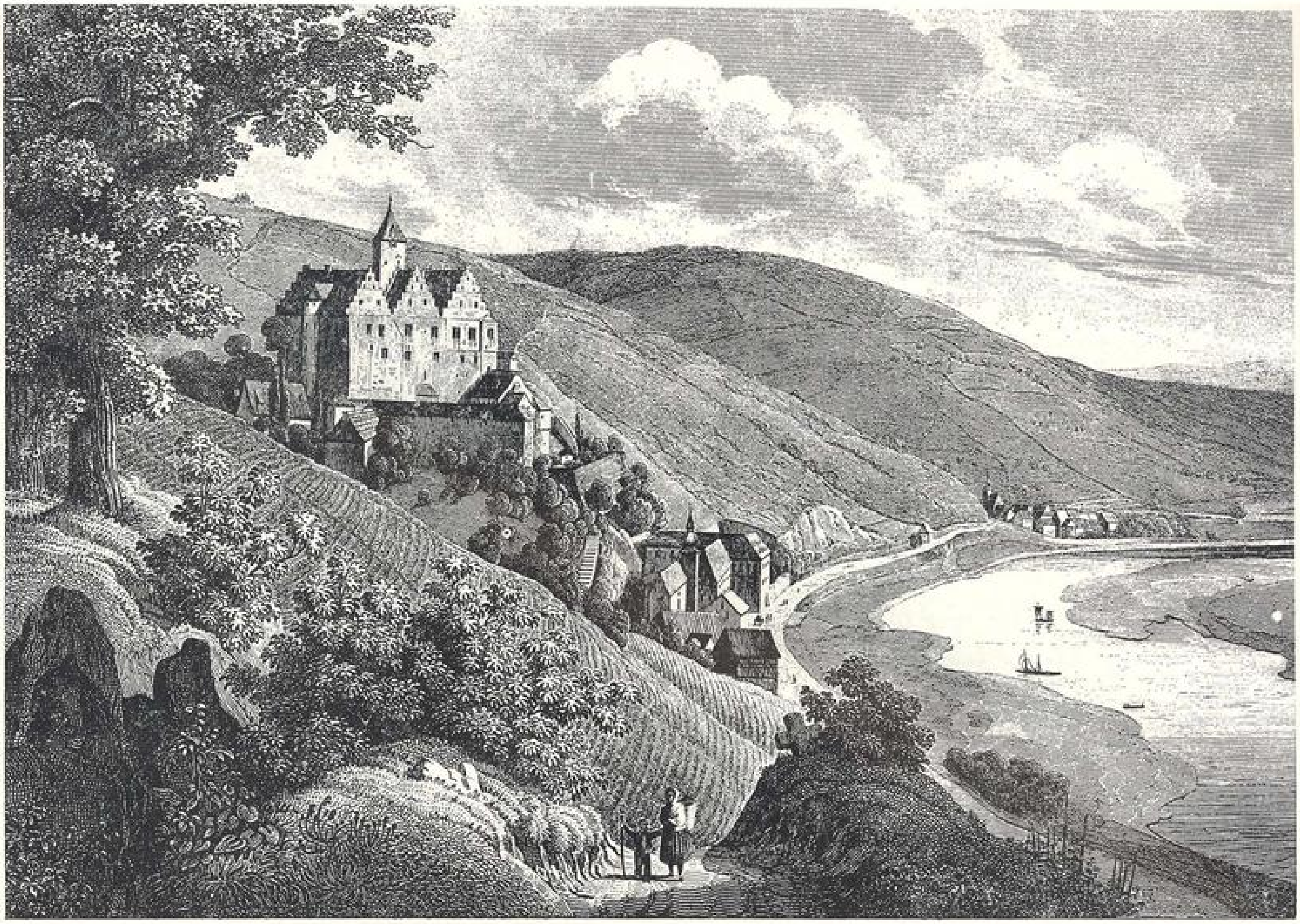
وجد فيهما مضمونا قيما فى أبهى شكل وأبدع تصوير.

كانت مكتبة روكرت شاملة على كتب فى لغات بلا عدد، وقد وصفها الشاعر نفسه قائلا إنها تحوى مؤلفات باللغات التالية:-

اليونانية والألمانية واللاتينية والصقلبية والرومانية والفارسية والسانسكريتية والتركية والعربية ...

وزد على ذلك مراجع أخرى بالعبرية والكردية والأرمنية والبشتو والفارسية القديمة، ولغات جنوبى الهندستان مثل التامل والملايالام، والبربرية، والأرناوتية، والفنلندية، والسورية، والأرامائية والحبشية، والقبطية ...

وقد حكى احد ابناء روكرت أن أباه قد تعلم نحو الخمسين لغة. كما نتبين من مذكرات أولاده ومن أشعاره هو أن هذا العملاق كان إذا اراد درس لغة ما كرس لها نفسه لمدة لا تزيد على الستة او الثمانية أسابيع بحيث لا يلتفت فى تلك الفترة الى اى لغة أخرى ويظل هكذا حتى يفهمها ويدرسها ويترجم عنها. وقد حدث ولده ان قسا سأله فى شهر تموز (يوليو) ان يدرسه اللغة التاملية — وهى من اللغات الهندية الجنوبية الصعبة — وكان الأستاذ يجهلها، ولكنه وعد الرجل أنه سوف يعلمه اللغة المذكورة فى تشرين الثانى..!! ولم يوجد عند روكرت سوى انجيلا مكتوبا بالتاملية وبضع ملاحظات قديمة لسائح اوروبى.. ووصف هو فى شعر له كيف ابتدأ بدراسة هذه اللغة «بسم الله» باحثا عن اسم «الله» الذى لاشك انه موجود فى الانجيل، وبعد أن عثر على الاسم العلى سهل عليه فهم كل ما حوله فى المتن من «السموات والأرض» ... وهكذا



لودفيج ريشتر : قصر ماينبرج .Ludwig Richter: Schloß Mainberg
وكثيرا ما كان روكرت يزور اهل هذا القصر القريب من موطنه.
نشكر السادة المشرفين على أرشيف فريدريش روكرت، بمدينة شفاينفورت ومطبعة فيرت بها لتصريحها لنا بنشر هذه الصورة.

تعلم التاملية واستطاع ان يعلمها فى تشرين الثانى ...! وكان روكرت كلما درس لغة جديدة عاش فيها حتى أنه كان يتكلم بها فى أحلامه على ما وصف هذا الحال فى ابياته.

ولكنه من الغريب انه لم يكن معلما موهوبا فقد قصر عن فهم ما اعترض تلامذته من المشكلات، وحكى أحدهم وهو «باول ده لاجارد» أن روكرت لم يكن يدرس على الطريقة المعروفة التى تنهج الى توضيح المسائل من الوجهة اللغوية والنحوية كما كان لا يهتم بفقه اللغة كعلم مستقل، ولم يلقن تلامذته قواعد الصرف والنحو بل كان يشرح المتن لطلبته كما يبينه للأطفال عند بدء تعلمهم اللسان .. وبذلك كان يأخذ بيد التلميذ الى قلب اللغة ليتعرف على أسرارها وتوافق العبارات فيها وتشابك الكلمات. وأحيانا كان يترجم الشعر العربى او الفارسى الذى قرأه على طلبته ارتجالا فى شكل منظوم .. وسعى روكرت إلى الحد من عدد ساعات محاضراته على قدر الامكان، حتى أنه أحيانا ما عين ميقات بدء دروسه الجامعية فى السادسة صباحا (!!) راجيا ان يمتنع الطلاب عن الاشتراك فى الدرس بعد أن جعل موعده قبل طلوع الشمس.

وكان لدى روكرت خاصية أخرى ألا وهى أنه لم يعن بأشكال الكلمات على ما ينبغى بل كان يقرأ بعضها ملحنا فى التلفظ بها، وكان فى شيخوخته قد نسى النطق الصحيح لعدد من الكلمات مع أنه كان يحفظها عن ظهر قلب ويجيد كتابتها. ذلك أنه لم يسافر قط الى بلاد الشرق ولم يشاهد رجلا من العرب او الفرس او الهنود طوال عمره، وكان تعلمه قاصرا على الكتب وحدها ... واهتم روكرت بالدراسات اللغوية المقارنة كما هم بتأليف كتاب عن النحو المقارن للغات السامية حتى أنه قد تجاسر على المقارنة بين اللغات السامية والإندوجرمانية إلا أنه لم ينشر محصول بحوثه ولم نر نحن معشر المستشرقين فى هذه الابحاث فائدة علمية، بل نعتبرها ثمارا لشطحات الخيال الرومانتيكى. اما روكرت فكان هدفه الأعلى من هذه البحوث غير علمى وهو البرهنة على أن اللغات كلها فروع من أصل واحد وأنه من عرف الكثير منها وجد مفتاحا الى قلوب الناس

Ermutigung zur Uebersetzung der Hamâsa.

(1828.)

Die Poesie in allen ihren Zungen
ist dem Geweihten Eine Sprache nur,
Die Sprache, die im Paradies erklungen,
eh sie verwildert auf der wilden Flur.
Doch wo sie nun auch sei hervorgedrungen,
von ihrem Ursprung trägt sie noch die Spur:
Und ob sie dumpf im Wüstenglutwind stöne,
es sind auch hier des Paradieses Töne.

Die Poesie hat hier ein dürftiges Leben,
bei durstgen Herden im entbrannten Sand,
Mit Blütenschmuck und Schattenduft umgeben,
mit Abendthau gelöscht den Mittagsbrand,
Verschönt, versöhnt ein leidenschaftlich Streben
durchs Hochgefühl von Sprach- und Stammverband,
Und in das Schlachtgraun Liebe selbst gewoben,
die hier auch ist, wie überall, von Oben.

صحيفة انشد فيها روكرت قصيدة موحية صدّر بها ترجمته الألمانية لكتاب الحماسة.

واستطاع ادراك الوحدة الأصلية للبشرية، تلك الوحدة الكامنة تحت ستار اللهجات المختلفة؛ وكان مقتنعا بأن اللغات لا تعدو فى مختلف اشكالها ان تكون إفصاحا عن الروح الالهية المطلقة (الواحدة) التى تنعكس فيها على وجه ثلاثى : فى الفرع السامى للغات وفى الفرع الاندوجرمانى وأما الفرع الثالث فيشتمل على كل ما تبقى من الألسنة، من الصينية الى لهجات القوقازيين. ولا شك إن هذه الأفكار لا أساس لها من الواقع ولكنها بنت التخيلات التى كانت سائدة فى ذلك العصر فى ألمانيا، ومع ذلك فهى تدل على مقصد روكرت الأسمى وهدفه الأعلى وهو أن يثبت بواسطة بحوثه العلمية وتراجمه الشعرية عن اللغات الأجنبية وحدة الاحساس عند كافة الأقوام، وأن يبرهن بذلك على أن العشق هو هو فى الأقاليم السبعة وفى قديم الزمان وحديثه ولذلك كتب عند ترجمته لأشعار «الحماسة» أبياته العجيبة القائلة :

إن الشعر فى اللغات جميعها
لغة واحدة لدى العارفين ...

كل ذلك وهو أستاذ فى جامعة إرلانجن. اما فى برلين فأقام روكرت لمدة سبع سنوات، ثم عاد متقاعدا الى موطنه البافارى عام ١٨٤٨، وعاش هناك وسط كتبه فى داره المحاطة بالبساتين الى أن فاضت روحه فى ٣١ يناير ١٨٦٦.

قال روكرت واصفا موهبته الخاصة أنه احب اللغات فى حد ذاتها وأنه يعجب ويسر باللغة كلغة؛ ولا نجد فى الغرب شاعرا أقرب منه الى روح الشرق. كما كان له استعداد فائق التعبير عن المفاهيم والمعانى، ومع تبحره فى اللغات الشرقية كان ولوعا باللغة الألمانية التى تعمق فيها حتى ألم باشتقاقاتها الغائية؛ كما وضع ألفاظا لكل من الكلمات العربية او الهندية التى لم يوجد مقابلا لها بالألمانية. وقال فيه أحد فقهاء اللغة «لو أن اللغة لم تكن موجودة فى عصره لصارت لروكرت اليد الطولى فى ايجادها وتشكيلها».

ومن الغريب أن روكرت لم يأت بالترجمة المنثورة، ولكنه كلما قرأ بيتا او قطعة مسجعة ترجمها فى الحال نظما او سجعا، ونعثر لذلك على تراجمه المنظومة فى وسط المتون النحوية. وهو يعلق على ذلك بقوله :

«إن صنعة الترجمة هى ان ترى كيف تتبدل
أرواح المعانى فى أثواب الكلمات».

وهو لم يعبر عن فكرة واحدة له بشكل منثور بل اعترف قائلا
«إن الدنيا ليست عندى إلا مادة للشعر ...»

وكان فكره وشعره شيئاً واحدا، فلم يفكر الا وهو ينظم حتى وصف أبسط أحداث حياته فى شكل رشيق، ومن ذلك أنه ألف ٣٨ قصيدة فى حدث غير هام ألا وهو سقوط الثلج فى أحد أيام نيسان وهو أمر نادر الحدوث فى ألمانيا ...

ومن أقواله : «أن الدنيا تنعكس فى بلور الشعر وتبتهج به»، ولذلك لم يبرح يترنم بأبياته الى أن انتقل إلى رحمة الله.

ومن الطبيعى أن هذه الفعالية غير المحدودة انتجت أبياتا عديدة لا قيمة لها، وكثيرا ما ترجم هذا المستشرق الفحل بيتا واحدا مرتين او أكثر وهو فى ذلك يسخر من نفسه بقوله :

«.. وإن والد أشعارى
هو عدم الحافظة
وأمها هى النسيان ...»

وكانت موهبته الشعرية مشابهة لموهبة شعراء الشرق إذ كان يحب اللعب اللفظى كما كان يرى

«أن اللغة فى بدايتها كانت لعبا بالكلمات والمعانى
فدعنا نلعب نحن أيضا بها ...»

قال ابو عطاء السندى

ذكرتُكِ والخطىُّ يخطِر بيننا
وقد نَهِلت منا المثقّفة السُّمرُ
فوالله ما ادرى وإنّى لصادقٌ
اداءٌ عرانى من حبابك أم سِحْرُ
فإنْ كان سِحْراً فاعْذرينى على الهوى
وإن كان داءٌ غيرَه فلكِ العُذْرُ

قال بلعاءُ بن قيس الكنانى

وفارسٍ فى غِمار الموتِ مُنْغَمِسٍ
إذا تألّى على مكروهةٍ صَدَقا
غَشَيْتُه وهْو فى جأْواءَ باسلةٍ
عَضْباً اصاب سواءَ الرّأس فانْفَلقا
بضربةٍ لم تكن مِنّى مخالسةً
ولا تعجّلْتُها جُبْناً ولا فَرَقا


Heldenlieder. 9

6.

Abu Atâ der Sindische.

Liebeslied des Kriegers.

Dein dacht ich, als die Lanze
war zwischen uns im Schwung,
Und jeder Schaft im Blute
verlangte Sättigung

Ich lüge nicht, beim Himmel,
ich weiß nicht, was von dir
Mir zustieß, ist es Krankheit,
ist es Bezauberung?

Und wenn es ist ein Zauber,
so halt entschuldigt mich:
Und ist es sonst ein Uebel,
hast du Entschuldigung.

Anmerkung.

Der Dichter gehört der Zeit der Omajaden an. Es wird von ihm bemerkt, daß er eine ausländische Aussprache hatte, und das sch in ein weiches s, das sch in ein bloßes s verwandelte.

7.

Bal'a Ben Kais der Kenanische,

rühmt sich besonnenen Kriegsmutes.

Arabisches Maß Besit.

Und mehr als Ein Reiter, der in Todeswirbel sich taucht,
und wo auf Kampfungemach er sich verlobt hat, es hält:

Ihn deckte zu, wo er ritt im waffenrostigen Heer,
mein Säbel, der, wo er trifft, das Haupt in Mitten zerspellt,

Mit einem Hieb, der von mir ergieng nicht wie auf den Raub,
von Feigheit nicht übereilt, und nicht von Furcht überschnellt.

صحيفة من ترجمة روكرت لكتاب الحماسة، تحتوى على قصيدتين عربيتين حيث يرى القارئ ان المترجم قد وفق كل التوفيق فى محافظته على روح النص حتّى انه ابدع فى محاكاة بحر البسيط فى ترجمته.

لم يكن روكرت شاعرا رومانتيكيا يذوب فى غرام لانهائى او يريد الحصول على الكواكب الدرية لينثرها تحت قدمى معشوقته بل كانت فنون الشعر فى اعتقاده لعبا روحانيا ظريفا بديعا حتى انه يقول فى بعض أبياته :

«الشاعر مثله كالبهلوان   يمشى على حبال الكلام ...»

وان هذا الاستعداد الاكروباتى هو الذى مكنه من تراجمه الفائقة التى لا شبيه لها فى الدنيا بأسرها .

والآن فلنجمع أطراف فعالية روكرت فى حوزة الآداب الفارسية والعربية ولندع تراجمه من اللغات الهندية وإن كان عددها أكبر من تراجمه كلها عن اللغات الاسلامية، فهى تعد بالآف. ولا نذكر كذلك أبياته المأخوذة من ترجمة لاتينية للاشعار الصينية القديمة ..

وصف روكرت الشعر العربى والفارسى بأنهما معشوقتاه الجميلتان وفى الحقيقة أنه كان لهما عاشقا صادقا من أول حياته الى آخرها ! كان اول ما نشره روكرت فى حوزة الاستشراق مجموعة صغيرة سماها «من ديوان مولانا جلال الدين الرومى» (١٨١٩) وأدخل فى هذه الأشعار النفيسة طرز الغزل فى الآداب الألمانية، ولم يكن الشعراء الاوروبيون على العموم والألمان على الخصوص يعرفون الشعر ذا القافية الواحدة فان الشعر الألمانى أقرب الى الموشح او المربع او المسدس الخ. وجدير بالذكر أن القافية فى اللغة الألمانية لا تشكل بحرف واحد بل هى مركبة من تكرار مقاطع معينة من الكلمة او من كلمات كاملة ذات وقع واحد. اما المستشرقون فعندما عثروا على هذا الطرز فى الآداب الاسلامية ظنوا أنه غير قابل للتطبيق فى اللغة الألمانية لأنها «فقيرة فى القوافى» وأن استعمال كلمات مقفاة بقافية واحدة سيكون مطرد النغم، قبيح الصوت، صعب الفهم ...

ولكن روكرت بين ان تطبيق هذا اللون الشعرى فى اللغة الألمانية ممكن كل الامكان، فأعتبرت غزلياته هذه مثالا فى الجمال والرشاقة، وهى خفيفة القافية، حلوة الصوت والايقاع، عميقة الأفكار ... ولم يلبث روكرت وصديقه «بلاتن» يستعملان طرز «الغزل» الوحيد القافية فى أشعارهم حتى أخذه عنهما شعراء آخرون وصار بذلك أسلوبا معروفا فى الغرب أثناء اواسط القرن التاسع عشر.

أما قصائد روكرت التى نشرها تحت اسم المتصوف الاسلامى فلم تكن بمشابهة التراجم الحرفية بل هى ملهمة من تراجم الأستاذ هامر – بورجستال التى نشرها فى كتابه



حقل استقبال فى حضرة ملك لهرسب.
صحيفة من مخطوطة «شاه نامه» تأليف فردوسى الطوسى، موطنها ايران (أواسط القرن السادس عشر)، وهى محفوظة ضمن مجموعة الأستاذ اميل پريتوريوس بميونيخ.
نشكر دار نشر جرهارد شتالينج بمدينة أولدينبورج لاعارتّها لنا كليشيه هذه اللوحة.

«تاريخ الآداب الفارسية» وكان قد اعطاه لتلميذه هذا اثناء إقامته فى فينا. ومع ذلك تعكس أشعار روكرت روح مولانا الرومى بكمال الصداقة ولم تزل تعتبر أجمل مرآة فى الغرب لأفكار هذا الصوفى العظيم وإن كان الكثير من المستشرقين وغيرهم من أهل العلم قد قاموا بترجمة بعض آثاره. وكان روكرت على حق إذ أشار فى أول هذه الغزليات الى معشوق مولانا جلال الدين وهو شمس الدين التبريزى المذكور اسمه فى كل من أشعار الرومى :

«النور فى المشرق، وانا فى المغرب
مثل جبل ينعكس على ذروته الضياء
إننى القمر الأشهب لشمس الجمال
فاصرف عنى النظر، وانظر الى وجه الشمس ...»

وقد عنى روكرت فى الوقت نفسه بأشعار حافظ الشيرازى وكان إذ ذاك تأثير حافظ على شاعرنا جوته قد أتى بثمرة بديعة تمثلت فى ديوانه «الغربى – الشرقى». وقصد المستشرق الشاعر كذلك الى تأليف رسالة شعرية فى هذا الطرز إلا أنه علق أهمية كبرى على الخصائص الجمالية فى الأسلوب الفارسى حتى أنه قام بتقليد الجناس واللعب اللفظى وكتب الى ناشر كتبه قائلا :

«إنه من استوعب الروح الموجودة فى أشعار جوته والشكل الظاهرى فى مؤلفى هذا وأضاف الى هذين الجوهرين الكتلة الجسمانية كما توجد فى آثار هامر عسى أن يستطيع ادراك ماهية الشعر الفارسى دون أن يعرف الفارسية.»

وكان كتيب روكرت المدعو «ورود شرقية» (صدر سنة ١٨٢١، Östliche Rosen) يحتوى على أشعار رائعة البهاء بيد أن الشاعر كان يستعمل فيها ألعاب لفظية وقواف غير مألوفة، ورغم ذلك فان القارئ الألمانى لا يستغرب هذا الطرز بل أنه يبتهج لحسن الإيقاع وسهولة النغمات، وليس من العجيب أن جوته الذى – مع كل ميله الى حافظ الشيرازى – لم يستحسن تقليد الغربيين للأشكال الشرقية كان قد نصح أهل الموسيقى أن يضعوا ألحانا لهذه الأبيات التى تبعث على الغناء ... بعد نشر كتابه هذا بأربع سنوات طبع روكرت بعض تراجمه لرباعيات حافظ، واستنسخ متن ديوانه كله، ونفهم من عدة أبيات فى الدفتر المسمى «يوميات شاعرية» أن الشاعر الفريد الإيرانى لم يزل صديقه الروحانى حتى فى شيخوخته، ولكن لم يكن أحد من زملائه على علم أن روكرت كان قد ترجم قسماً غير صغير من ديوان حافظ الى ان نشر تلميذ له وهو «لاجارد» الآنف ذكره سنة ١٨٧٧ (اى إحدى عشر سنة بعد وفاة أستاذه) ٤٢ من الغزليات رويها من الراء الى الياء و ٢٨ رباعيا كان روكرت قد اهداها اياه سنة ١٨٤٧، وقد عثر الدكتور «كراينبورج» Kreyenborg على بواقى هذه الترجمة وهى ٨٥ شعرا رويها من الألف الى الدال، ونشرها سنة ١٩٢٦، وتعتبر هذه الترجمة قمة فى الصدق والروعة والجمال وليتها جمعت فى ديوان واحد بدلا من كونها الآن متناثرة يصعب العثور عليها فى المكتبات ...

كانت عادة روكرت أنه اذا اشتغل بآثار شاعر قام أولا بنظم شعر مستقل ملهم من أفكار الأديب الشرقى ثم تعهد بترجمة حقيقية صادقة لكلمات الأصل وكذا لروحه. نشاهد هذه العادة ايضا فى معاملته للفردوسى الشاعر الجليل الايرانى. كان «لومسدن» احد المستشرقين الانكليز قد نشر متن الأسطورة المنظومة «شاه نامه» اى كتاب الملوك سنة ١٨١١، ورأى فيها الأديب الألمانى «جورس» Görres افادة كاملة عن إحساسه الرومانتيكى فحكى قصص «شاه نامه» فى شكل منثور ونشر كتابه الذى لا قيمة له من الوجهة العلمية سنة ١٨٢٠. اما روكرت فحقق متن هذا المؤلف الضخم ذى الستين الف بيت من الشعر ورغب فى نشره، ولكنه قد سبقه فى هذا المضمار المستشرق الفرنسى «مول» Mohl الا ان روكرت قد انتقد هذه الطبعة المليئة بالأخطاء انتقادا شديدا، الأمر الذى نستدل منه على تعمقه فى هذه المادة، ومن بين تراثه العلمى آلاف الأوراق الحاوية على حواش وملاحظات خاصة بأسلوب «شاه نامه» ولغته.

ألف روكرت عند أول اطلاعه على هذا الكتاب أقصوصة منظومة تعالج قتال رستم وسهراب وهى المقطوعة الشهيرة فى «شاه نامه» حيث يروى فيها الشاعر كيف قاتل الوالد ولده دون أن يعرف أحدهما الآخر. واعتبر روكرت نظمه هذا أحسن شعر ألفه كما رأى أنه جدير بأن يهدى الى روح جوته ... لكن القراء الألمان لم يهتموا بهذا المؤلف الحزين، ولم يشعر احد بأن روكرت فى الوقت نفسه قد قام بترجمة كاملة لشاه نامه بأسره ... وظلت هذه الترجمة العظيمة المنظومة التى لا تخلو من فائدة نحوية ولغوية كما انها ذات روعة جمالية بتقليدها للأسلوب الشعرى الألمانى القديم مختفية وراء أوراق الشاعر حتى أنها لم تطبع الا بعد ٣٠ سنة من وفاته ...

ولا غرو أن يلتفت روكرت الى الشاعر الإيرانى الذى كان واسع الشهرة حتى فى الغرب منذ ثلاثة قرون وهو الشيخ

سعدى الشيرازى الذى ترجم كتابه المشهور بعنوان «كلستان» (روضة الورد) السائح الألمانى آدم «اولياريوس» سنة ١٦٥٣، والذى قدر شعراء الغرب وادباؤه أشعاره الأخلاقية غاية التقدير. وكثيرا ما نصادف فى أشعار روكرت بعض الاشارات لأفكار الشيخ سعدى لأنه كان يحب النصيحة فى لباس شعرى ... ولكن اشتغاله العلمى بآثار هذا الأديب لم يبتدئ الا بعد رجوعه من جامعة برلين متقاعدا، اى سنة ١٨٤٨ او ١٨٤٩. ولكنه فاتته الفرصة لنشر تراجمه وشكى ان مؤلفه الكامل يستره الغبار ... وكان من سوء حظه انه كان قد طبع فى هذه السنوات عدد من تراجم جديدة جميلة ولو كانت غير علمية لأشعار سعدى ورسائله، اما مترجمات روكرت فظلت مجهولة لم تمثل للطبع الا بعد عام ١٨٩٠، وهى مقطوعات من كلستان، وترجمة منظومة جميلة لشعر «بوستان» وعدد جدير بالذكر من «صاحبنامه» والمدائح والمراثى وديوانه الحافل بالحواشى التاريخية المفيدة؛ لأن المترجم قد عرف أن القارئ الغربى لا يستطيع فهم الايماءآت والتلميحات دون معرفة الوضع السياسى فى القرن الثالث عشر.

وكان روكرت قد عثر على ديوان مولانا جامى (المتوفى عام ١٤٩٥) سنة ١٨٣١ واستنسخ منه عددا لا يستهان به من الأبيات بعد أن نقل بعض الأساطير الصغيرة للشاعر الهروى فيما قبل. ووجد فى أبيات هذا الشاعر ظرافة بديعة ورشاقة طريفة تتوافق واستعداده هو، ولذلك نشر ترجمة لها فى مجلة جمعية المستشرقين الألمان، ويحس القارئ أنه قد بذل جهده فى تقليد أعجب تشاكلات الأسلوب وفى ايجاد رموز غير معروفة وتلميحات غير مألوفة، كما عبر عن مقصده فى الشعر الذى أضافه الى ترجمته هذه :

«إننى قد اصطدت غزال المسك الذى علفته الرائحة فى مروج ايران، فأحضرته فى زناجير الايقاع الوطنى وسلاسل الألحان المستأنسة لأعرضه هنا».

توجد فى تراجم روكرت أسماء شعراء فارسيين أخرى، مثل نظامى الذى نشر مستشرقنا بعض الابواب من «إسكندرنامه» فى شكل منظوم، ثم مقطوعات من آثار فريد الدين عطار، وقصيدة لأنورى، وبضع رباعيات لعمر خيام، وهو لم يهمل الشعر الشعبى الفارسى. وكل ما ترجمه قريب من الأصل فى الايقاع وفى الكلمات الا أن الترجمة أحيانا ما كانت تفوق الأصل جمالا وعذوبة.

والكتاب الوحيد الذى نقله شاعرنا العبقرى منثوراً هو كتاب فى علم المعانى، اى الدفتر السابع لـ «هفت قلزم» (البحور السبعة) الذى كان قد طبع فى لكهنو فى الهند سنة ١٨٢١، ودعا هامر - بورجستال تلميذه السابق للاشتغال بهذا المصنف المحتوى على كل الفنون من البديع والمعميات وما يختص به الشعر الفارسى وبالخاصة السبك الهندى من المشكلات اللغوية. وكان هذا العمل متفقا واستعداد روكرت «الأكروباتى» للعب بالألفاظ وصارت ترجمته هذه مع حواشيها والإيضاحات الطويلة مرجعا قيما لكل من أراد فهم البلاغة الفارسية على ما ينبغى. ونشاهد فى هذا المصنف أن لروكرت موهبة خاصة لإيضاح مسائل معقدة فى أسلوب خفيف مزين بعبارات باسمة وتلميحات فكهة، وان اطلعنا عليها زادنا أسفا أن روكرت لم يجمع معلوماته الفائقة فى مضمار الآداب الشرقية فى تصنيف يشتمل على تاريخ الآداب من الوجهة الجمالية.

هذا ما ورثناه فى مضمار الآداب الفارسية من فريدريش روكرت الذى لا مثيل له فى فن الترجمة المنظومة لا فى عصره ولا فى ايامنا هذه ... أما تراجمه عن اللغة العربية، وإن كان قسم مهم منها يكاد أن يكون مجهولا حتى لدى المتخصصين، فهى أكمل من عمله المذكور وأعجب، فان الترجمة عن الفارسية سهلة على الألمان نسبيا من الترجمة عن العربية.

كان روكرت اثناء دراساته خاصة فى أوائل أمره يشتغل بدراسة القرآن الكريم، وقد نشر بعض آياته فى ترجمة جميلة فى إحدى المجموعات الأدبية الألمانية سنة ١٨٢٤. وكان يسعى عام ١٨٤٢ الى طبع الترجمة بأسرها ولم يوفق فى ذلك وهكذا بقيت على حالها حتى نشرها المستشرق «اوجوست مولر» بعد وفاة المترجم باثنى وعشرين سنة؛ وقد ذكر فى مقدمته أنه لا يوجد فى الدنيا من استطاع القيام بترجمة مساوية لتصنيف روكرت هذا، مع أن شاعرنا لم ينقل متن كتاب الله بتمامه بل اكتفى بترجمة نحو ثلاثة أرباعه، وحافظ فى الصياغة الألمانية على الأسلوب الخاص للقرآن الى حد ما وإن لم يتتبع النص الأصلى كلمة بكلمة، ويقال بلا مبالغة أن هذه الترجمة أقرب الى الجمال الإعجازى لألفاظ القرآن من كل التراجم التى صدرت فى اوروبا. وبجانب ذلك انتخب الشاعر بضع آيات وصنف منها أشعارا وأمثالا وأبياتا ألمانية.

صحيفة من مخطوطة لترجمة روكرت للقرآن (سورة البقرة).
وهى محفوظة فى سجلات مدينة شفاينفورت، مسقط رأس الشاعر المترجم. ◄

Aus der zweiten Sure.

Die Kuh.

(Medinisch)

7. Wohl sind unter den Menschen manche, die sprechen: Wir glauben
an Gott und an den jüngsten Tag;
allein sie glauben nicht.
8. Sie wollen Gott betrügen und die Gläubigen;
doch sie betrügen nur sich selbst, und merken's nicht.
9. In ihrem Herzen ist ein Siechtum;
zunehmen ~~[illegible]~~ läßt sie Gott am Siechtum,
und ihrer wartet Strafe peinlich
darum, daß sie verlogen waren.
10. Sagt man zu ihnen: Stiftet Unheil nicht auf Erden!
so sagen sie: Wir stiften Heil.
11. Ei freilich, Unheil stiften sie, und merken's nicht.
12. Sagt aber man zu ihnen: Glaubet,
als wie die Leute glauben!
so sagen sie: Wir sollen glauben,
als wie die Toren glauben?
Ei ja, die Toren sind sie selbst, und wissen's nicht.
13. Wenn aber sie begegnen denen
die glauben, sagen sie: Wir glauben.
Doch wenn sie sind allein ~~mit~~ bei ihren Satanen,
so sagen sie: Wir sind mit euch;
fürwahr wir spotten nur.
14. Gott spottet ihrer, und läßt sie in ihrem Wahn hintaumeln.
15. Die sind es, die eintauschten den Irrtum für die Leitung;
und nicht gewuchert hat ihr Handel,
und sie sind unglücklich.
16. Ihr Gleichnis ist das Gleichnis dessen
der anzündet hat ein Feuer;
und als es ringsum leuchtete,
nahm Gott hinweg ihr Licht, und ließ sie
in Finstern, da sie nicht sehen;
17. Taub, stumm und blind; darum sie nicht umkehren.
18. Oder wie ein Gewölk vom Himmel;
darin ist Finsternis und Blitz und Donner;
da stecken sie ihre Finger in die Ohren vor den Schlägen,
sie fürchten sich vorm Tod; und Gott umfaßt die Leugner.
Aus Furcht vorm Tod;
19. Der Blitz will rauben ihre Augen;
sooft er ihnen leuchtet, wandeln sie darin,
doch wenn es dunkelt über ihnen, stehen sie.
Und wollt' es Gott, so nähm' er ihr Gehör und ihre Augen,
denn Gott ist jedes Dinges gewaltig.

(Anmerk.)

Die Kuh. Liest S. 63. ~~[illegible]~~
Diese Verse unter den Suren, doppelt so lang als die übrigen längsten, und [illegible] als die von mittlerer Länge, scheint aller innern Einheit ~~und Zusammenh~~ zu ermangeln, und nur ein Versuch (ob des Propheten, oder der Sammler, sei dahingestellt), alles sonst einzeln Ausgeführte als ein äußerliches Ganzes zusammen zu fassen. Viele einzelne Partien, obgleich der sich bewußten ~~bestimmten~~ Richtung auf eine ~~sichtbare~~ bestimmte Zeit, und damit der rechten Wirkung entbehrend, sind doch rhetorisch schön genug; und wir [illegible] noch, dergleichen einzeln aufzuführen, [illegible] Stücke wie die [illegible] ~~[illegible] parallel [illegible]~~ auch der Vergleichung wegen mit Stellen in späteren Suren, nicht übergehen.
Die [illegible] dieser Suren [illegible] die erst [illegible], wir müßten sie nach [illegible] für die letzte halten. Die letzte, deren Zeit sich aus ihr selbst beglaubigt ist S. 9. Dagegen sind in dieser zweiten wenigstens einige Stücke die gewiß in die erste Zeit [illegible] z. B. die Erwähnung der [illegible] S. 136 ff.

وفى الفترة نفسها لفت روكرت اهتمامه الى مقامات الحريرى التى نشرها «سيلفستر ده ساسى» فى باريس عام ١٨٢٢. وكل ناطق بالضاد يعلم أن هذا المصنف من نوادر الآداب العربية التى لم يسبكها يراع شاعر مثله، وأنه شبيه بفوارة مشعشعة من الألفاظ، إذ «لم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله». وكان المستشرق الفلمنكى «جوليوس» (المتوفى ١٦٦٧) قد اشتغل لأول مرة بهذه المقامات، وكذلك نشر «ألبرت شولتنس» فى جامعة ليدن مقامة أخرى، وترجم يوهان يعقوب رايسكه المقامة السادسة والعشرين عام ١٧٣٧. ثم نجد ترجمة للمقامة الثامنة بقلم «الكونت رزووسكى» وللمقامة الثانية عشر بقلم الدكتور «بيسانى» وكلاهما نشر فى مجلة «معادن الشرق» فى فينا. ولكن لم يكن لهذه التجارب قيمة علمية لأن مؤلفوها لم يستندوا الى متن عربى يوثق به. لذلك اهتم الأستاذ «سيلفستر ده ساسى» الفرنسى بنشر النص الصحيح مستفيداً من مخطوطات شتى ومن المتن المطبوع فى كالكوتا بين عامى ١٨٠٩ و١٨١٤. وصدر متنه سنة ١٨٢٢ بعد أن أخذ مواطن الأستاذ الكبير «كوسين ده برسه فال» على عاتقه إصدار المقامات فى طبعة جديدة عام ١٨١٨. ويعد هذا التحقيق العلمى الذى يحتوى على ٦٦٦ صحيفة وهو مزود بحواش عديدة مرجعا معترف به.

أما روكرت فكان إذ ذاك يعيش منزويا فى قريته البافارية حيث اشترى هذا الكتاب الثمين على رغم ثمنه الهائل وفقره هو المدقع ... وبعد عامين تجرأ على نشر ثمانى مقامات فى ترجمة ألمانية تعد فى مرتبة الاعجاز: قلد فيها أجناس الجناس والتجنيس من جناس لاحق وجناس زائد وتجنيس الإشارة وحافظ على ألعاب الألفاظ وعلى العبارات الشاذة، وإن أصاب فى متن الحريرى عبارات لا يمكن نقلها الى الألمانية كلمة بكلمة فقد ابدع هو فى لغتنا الألمانية ما يشبه المعنى الاصلى ويظهر من الفنون ما يحير العقول، ويسلم كل من أجاد اللسانين العربى والألمانى أن المقامات الألمانية أكثر صنعة وابدع من أصلها العربى ... فلنعطى مثالا لطريقة روكرت فى ترجمته: فى المقامة الطيبية حيث يعالج الحريرى مسائل فقهية كل منها مبهم مزدوج المعنى اخترع روكرت مثلها فى الألمانية، مثل:

Ist ein Gelddieb, wer eine Katze stahl? — Ja, eine gespickte zumal.

ومقابل ذلك بالعربية: «هل يعتبر سارق هرة سارق مال؟ — أجل، وبالخاصة إن كانت الهرة محشوة بالسمن».

ولكن المراد من «هرة» هنا «صرة» وهذا معلوم فى اللهجات الألمانية القديمة، و gespickt محشو بالسمن هو الحيوان النحيف الذى يحشى قبل ان يشوى ومعناه ايضا «الصرة المملوءة بالدراهم ...»

وعلى هذا الطرز ترجم شاعرنا المستشرق المقامات كلها الا أربعا او خمسا، وزاد فيها ملاحظات وحواشيا مأخوذة من المراجع العربية، فنتعلم من ترجمته هذه كثيرا من عادات العرب ومن أمثالهم المأثورة، وهى فى الوقت نفسه مفيدة لمن قصد التعمق فى الكلمات الألمانية النادرة والعبارات الصائبة والمعميات الغريبة، وإن قرأتها وداومت على الاطلاع عليها انشرح صدرك وانبسط قلبك وسبحان من أنعم على شاعر ألمانى بهذه الموهبة الفريدة!

وعندما اطلع «سيلفستر ده ساسى» على ترجمة روكرت لمصنفه المذكور اثنى عليه عاطر الثناء قائلا:

«بفضلكم صار لا ينبغى على من عرف اللغة الألمانية أن يتعلم العربية كى يتمكن من الإدراك الصحيح لكل ما يوجد من الآثار الشرقية من هذا اللون الأدبى!»

ومما يجدر بالذكر أن روكرت فى تراجمه كلها افتقر الى قواميس جيدة للغات الشرقية، لأنه لم يوجد فى ذلك العصر معجم كاف للغة الفارسية ولا للعربية، وكان المستشرق مجبورا على استنساخ بعض القواميس الموجودة (كما فعل نفس الشىء بالمجلدين الضخمين السانسكرتيين ...) مضيفا اليها ما وجده من العبارات والمعانى فى اثناء درسه دواوين الشعراء وتواريخ المؤرخين، فيصعب علينا ان نعلم كيف أمكن روكرت على الرغم من كل هذا القسط العلمى إكمال تراجمه الرائعة التى لم يتجرأ على مثلها أحد منا نحن معشر المستشرقين المعاصرين مع وفرة القواميس وكثرة الكتب النحوية فى الغرب!

وأضاف روكرت بعد مدة قصيرة جوهرا جديدا الى ذخيرة العلوم وهو ترجمته لحماسة أبى تمام. طلب الى ناشر كتبه إصدار هذا المؤلف سنة ١٨٣١؛ ثم أراد قبل نشره تحقيق المتن المنشور على يد المستشرق «فرايتاج» Freytag أستاذ الدراسات الشرقية فى جامعة بون، ولذلك تأخر نشر هذا التصنيف الى أن لاحت له الفرصة للطبع عام ١٨٤٦. وصف هامر – بورجستال هذه الترجمة فى تقريظه «كولد عملاق مولود من الاجتهاد الإستشراق وآلهة الشعر الألمانية» ونعترف أنه لا يسهل على قارئ غير واقف على أصول العربية تقدير هذه الأشعار الألمانية مع أنها كانت (او قل بالاحرى: لأنها كانت) امينة النقل للأصل العربى أمانة كاملة، لم يهمل المترجم فيها تشبيها غريبا ولا يحل

وهِرٌ تصيد قلوب الرجال
وافْلتَ منها ابن عمروٍ حُجرْ

رمتْنى بسهمٍ اصاب الفؤادَ
غداة الرَّحيلِ فلم انتصِـــرْ

فأسبَلَ دَمْعى كفضِ الجُمان
أو الدَّرِ رَقراقِهِ المُنْحَدِرِ

بَرَهْرهَةٌ رَخْصةٌ رُودَةٌ
كخرعُوبةِ البانةِ المُنفطِرْ

فتورُ القيام قطيعُ الـــكلا
مِ تَفْتَرُّ عن ذى غروبٍ خصِرْ

كأنَّ المدامَ وصَوْبَ الغمام
وريحَ الخُزامَى ونشْرَ القُطُرْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابهـــا
اذا طرَّبَ الطائرُ المستَحِـــرْ

فبِتُّ أُكابدُ ليلَ التِّمـــا
مِ والقَلْبُ من خَشْيةٍ مُقْشَعِر

Die geliebte Hirr.

(Diwan XXVIII., 1. 6—19.)

(Arabisches Maß Mutekarib.)

O Hareth Ben Amru, ich bin wie berauscht;
Der Mann überall ist vom Schicksal belauscht.

Auf Herzen der Männer macht Jagd mit dem Pfeil
Die Hirr, und entgangen ist Hodschor mit Heil.

Sie hat mit dem Pfeile das Herz mir versehrt
Am Morgen des Abschieds, ich war unbewehrt.

Da rollten die Thränen mir über die Wang',
Alswie aufgegangener Perlen ein Strang.

Die zarte, die weiche, die schmeidige nickt,
Wie Zweige von Myrobalanen geknickt.

Erschlaffend im Aufstehn und stockend im Wort;
Ihr Lächeln erschließt eine glänzende Pfort',

Als wäre der Wein, und von Wolken die Flut,
Und Hauch der Violen und Aloeglut

Gemischt um den frischen, den duftigen Zahn,
Zur Stunde, wann anfingt den Morgen der Hahn.

Ich habe die längste der Nächte durchwacht,
Und Furcht hat das Herze mir schaudern gemacht.

صحيفة من ترجمة لإحدى قصائد امروء القيس مرفق بها الأصل العربى لهذه القصيدة، وكان المترجم قد ابدع فى محاكاة بحر المتقارب فى ترجمته الألمانية.

عقود الجمل المتشابكة، وأحيانا ما كان يسعى فى المحافظة على الوزن العربى فترجم ما ترجم فى بحر البسيط او الطويل او الوافر، او، إن لم يكن ذلك مستطاعا لأسباب جمالية، تبنى وزنا قريبا من البحر الأصلى. وزاد ذلك فى صعوبة فهم الأشعار، اما القارئ الألمانى غير المتخصص فربما يأخذه العجاب بإزاء تلك الأسماء الغريبة وصفات الخيول وأنساب الإبل ... أما المستشرق فيصاب بالحيرة والعجب لهذه الترجمة الفريدة التى علق روكرت عليها من الحواشى ما يمكن جعله موسوعة خاصة لتاريخ العرب وآدابهم فى القرون الأولى للهجرة. وما كان مقصد المترجم من هذا المصنف الشامل على مجلدين ضخمين الا القيام بالبرهان القاطع على أن سكان العالم بأسرهم متشابهون فى الفضائل والهمم العالية، وقصد الشاعر أن يعرض أمام شعبه الألمانى صورة من الأفكار والأحاسيس التى كان الشعب العربى يميز بها قبل ألف سنة أو أكثر، وهى العشق والحماسة والحلم وإكرام الضيف ... وعبر عن هدفه هذا فى شعر تمهيدى لترجمته يعبر فيه عن عقيدته فى أن الشعر فى كافة اللغات لسان واحد منشأه الحقيقى الجنة قبل ان تفترق الأقوام وتختلط الألسنة ...

لم يحصل روكرت لترجمته هذه التى تشتمل على نحو ألف قصيدة وقطعة ما كان يتوقعه من مدح زملائه ولا من ثناء الجم الغفير من القراء لأن الموضوع كان خشنا غير مألوف لم يتذوقه الا من جد فى قراءته وصبر على مطالعته. ولسنا ندرى متى قام روكرت بترجمة الأمثال العربية الألف والستمائة التى ظلت غير مطبوعة حتى الآن، وليس من المعلوم كذلك متى اشتغل بترجمة بضع المعلقات التى نشرت سنة ١٨٧٧ فى مذكرات تلميذه «لاجارد»، ومن الممكن ان تكون قد دونت قبل عام ١٨٤٧ حين زاره تلميذه المذكور. فمن بينها معلقة طرفة ومعلقة عمرو، وهناك ايضا ترجمة عبقرية لمعلقة زهير. ولو سأل القارئ الصابر هل من مزيد؟ قدمنا اليه قصيدة «بانت سعاد» المشهورة لكعب بن زهير فى ترجمة الأستاذ الكبير، ترجمة تليق بهذه القصيدة المؤثرة. وبين أوراق الشاعر المستشرق قصيدة أخرى اشتهرت فى الشرق والغرب معا وسعى فى ترجمتها الكثير من المستشرقين الألمان فى القرن الماضى منهم كوسهجارتن Kosegarten وڤايل Weil وهامر ورويس Reuss وغيرهم؛ وهى لامية العرب لشنفرى. اما ترجمة روكرت لهذا الشعر العظيم فهى عندنا

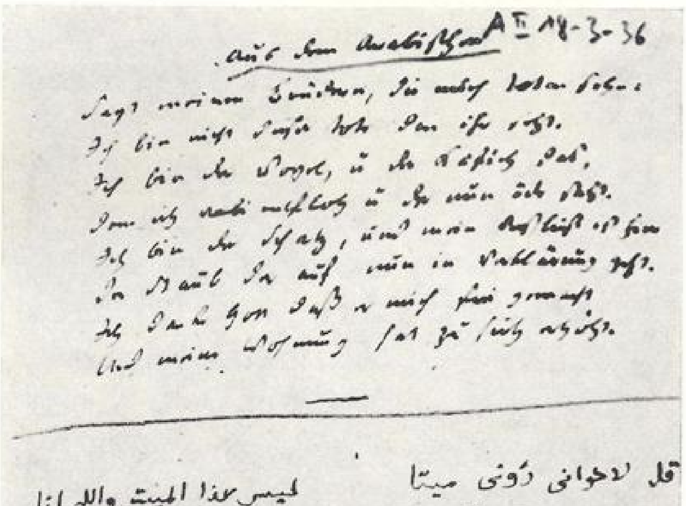
أحسن ما كتبه فى حوزة الشعر العربى القديم، ولا أظن أن أحدا فاقه فى وصفه للذئاب الجائعة، وإن كانت ترجمته للمعلقات كلها جميلة رشيقة وأحيانا ما كانت أحسن من الأصل، وكأنها كانت فى الأصل شعرا ألمانيا لأحد فحول الكتاب. ولكن لم تنشر هذه القصائد الا بعد وفاته هذا المستشرق بكثير، ولم ير هو منها فى شكل مطبوع الا واحدة ألا وهى ترجمته لديوان امروء القيس التى نشرت سنة ١٨٤٣ عندما كان روكرت استاذا فى برلين واستفاد فى إحضاره من المتن المطبوع ومن مخطوطة محفوظة فى مكتبة مدينة جوتا، وألحق بترجمته هذه الحواشى المأخوذة من كتاب الأغانى وتاريخ أبى الفداء، ونعجب مرة أخرى لسهولة ترجمته وعذوبة أسلوبه فى نقل هذه الأشعار، وكل هذه التراجم من الشعر العربى القديم وهى التى لا يشق لها غبار. زد على هذا كله أن مستشرقنا الشاعر ترجم ماترجم من الأشعار الموجودة فى كتب المؤرخين العرب مثلا الأبيات المروية فى وفيات الأعيان لابن خلكان (وهى لم تنشر كذلك بل ما زالت محفوظة بخطه الصغير المطموس ضمن تركته العلمية وهى فى انتظار من يرفع عنها ستار النسيان) والأشعار فى المجموعة المدونة بقلم العالم الألمانى «كوسه جارتن»؛ ومن الطبيعى أنه لفت اهتمامه الى آثار عمر بن أبى ربيعة وأحضر ترجمة لأبياته الغرامية، (مازالت بدورها غير كاملة ولا مطبوعة) ولم يهمل قصة عنتره بن شداد ...

وعسى ان يفهم القارئ سعة عبقرية روكرت من هذه الأسطر القليلة التى لم يذكر فيها ما فعل فى حوزة اللغات الهندية وهى آلاف من الصحف من السانسكرتية واللغات الشعبية الهندية او الصينية او ترجمته لأجزاء من التوراة.
توفى روكرت وهو يقارب الثمانين من عمره، وكان بلغ منه التعب والارهاق حدا بليغا بعد حياة حافلة أطفأ فيها جذوة يومه وأحرق فحمة ليله فى العمل، على ما قاله زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

Ich bin der Lebensmühsal geworden satt, und wer
Gelebt hat achtzig Jahre, o glaub mir, satt wird der!

اشتاق الى الراحة الأبدية والى الرجوع الى بلاد الحب الأزلى الذى لم يشك أبدا فى وجوده، وهكذا عاد شاعرنا الى منشأ اللغات السماوى والى منبع الشعر السرمدى ...



Sagt meinen Brüdern, die mich Toten sehen:
Ich bin nicht dieser Tote, den ihr seht.
Ich bin der Vogel, und der Käfig das,
Dem ich entflog und der nun öde steht.
Ich bin der Schatz, und mein Verschluß ist hin
In Staub, da auf nun die Verklärung geht.
Ich danke Gott, daß er mich frei gemacht
Und meine Wohnung hat zu sich erhöht!

ترجمة روكرت لشعر عربى، محفوظة فى سجلات مدينة شفاينفورت التى صرحت لنا بنشر هذا الشعر الذى لم يسبق نشرها.